الصاعقة الثمانون: أَبعَدُ نأيِ المَليحَةِ البَخَلُ(*)

أَبعَـدُ نأيِ المَليـحَـةِ البَـخَلُ ... في البُـعـدِ مـا لا تُكَلَّف الإبلُ

مَلُولةٌ مـا يَدومُ لَيسَ لَهـا ... مِـنْ مَلَلٍ دائمٍ بـهـا مَلَلُ

كـأنّمـا قـدُّها إذا انْفَـتَلَتْ ... سكرانُ من خـمـرِ طَرفِـهـا ثَمِلُ

بي حَـرُّ شـوقٍ إلى تَرَشّـقِـهـا ... يَنفَـصِلُ الصَّـبـرُ حين يَتَّـصِلُ

الثَّـغـرُ والنَّحـرُ والمُخَلخَلُ والـ ... ـمِـعـصَمُ دائي والفـاحِمُ الرّجِلُ

ومـهـمَـهٍ جُـبـتُـهُ على قَـدَمي ... تَعـجَـزُ عَنهُ العَـرامِسُ الذُّلُلُ(١)

بصـارِمي مُـرتَدٍ، بمَخـبُـرَتي ... مُـجـتَـزِئٍ، بالظلامِ مُـشـتَـمِلُ

إذا صَـديقٌ نَكِرتُ جـانبَـه ... لَم تُعـيني في فِـراقِـه الحِـيَلُ

في سَـعَـةِ الافـقَين مُـضطَرَب ... وفي بِلادٍ مِنْ أُخـتِـهـا بَدَلُ

وفي اعـتِـمارِ الأمـيـرِ بَدرِ بنِ عَـمّـ ... ـارٍ عَنِ الشّـغـلِ بالوَرى شُـغُلُ

أصـبَحَ مـالٌ كَـمـالِـه لِذَوي الـ ... ـحـاجَـةِ لا يُـبـتَـدا ولا يُسَلُ

هانَ عَلى قَلبِـه الزَّمـانُ فَـمـا ... يَبينُ فـيـه غَمٌّ ولا جَـذَلُ

يَكادُ مِنْ طاعَـةِ الحِـمـامِ لَهُ ... يَقـتُـلُ من مـا دَنا لَـهُ الأَجَلُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا الحسين بدر بن عمار الأسدي، وقد قصده الطبيب، فغاص المبضع فوق حقه فأضرّ به.

(١) المهمه: المفازة. العرامس: النوق الصلاب.

يَكادُ مِنْ صِحَّةِ العَزيمةِ ما ... يَفعَلُ قَبْلَ الفِعالِ يَنفَعِلُ

تُعرَفُ في عَينِه حَقائقُهُ ... كأنّهُ بالذَّكاءِ مُكتَحِلُ

أُشفِقُ عِندَ اتّقادِ فِكرَتِهِ ... عَلَيهِ مِنها أخافُ يَشتَعِلُ

أَغَرُّ، أعداؤهُ إذا سَلِمُوا ... بالهَرَبِ استَكبَرُوا الذي فَعَلُوا

يُقبلُهُم وَجهَ كُلّ سابِحَةٍ ... أَربعُها قَبلَ طَرفِها تَصِلُ[1]

جَرداءَ مِلءِ الحِزامِ مُجفَرَةٍ ... تكونُ مِثلَي عَسيبِها الخُصَلُ[2]

إنْ أدبَرَت قُلتَ لا تَليلَ لها ... أو أقبَلَت قلتَ ما لها كَفَلُ[3]

والطَّعنُ شَزرٌ والأرضُ واجِفَةٌ ... كأنّما في فُؤادِها وَهَلُ

قَدْ صَبَغَتْ خَدَّها الدِّماءُ كَما ... يَصبُغُ خَدَّ الخَريدةِ الخَجَلُ

والخَيلُ تَبكي جُلُودُها عَرَقًا ... بأَدْمُعٍ ما تَسُحّها مُقَلُ

سارٍ ولا قَفرَ مِنْ مَواكِبِهِ ... كأنّما كلّ سَبسَبٍ جَبَلُ

يَمنَعُها أن يُصيبَها مَطَرٌ ... شِدّةُ ما قَدْ تَضايَقَ الأسَلُ

يا بَدرُ يا بحرُ يا غَمامَةُ يا ... لَيثَ الشرى يا حِمامُ يا رَجُلُ

إنّ البَنانَ الذي تُقَلِّبُهُ ... عِندَكَ في كلّ مَوضِعٍ مَثَلُ

إنَّكَ مِنْ مَعشَرٍ إذا وَهَبُوا ... ما دونَ أعمارِهم فَقَد بخِلُوا

---

(١) السابحة: الفرس.

(٢) المجفرة: الواسعة الجنبين. العسيب: عظم الذنب.

(٣) التليل: العنق.

قُلُوبُهُم في مَضاءِ ما امتَشَقُوا ... قاماتُهُمْ في تَمامِ ما اعتَقَلُوا

أنت نَقيضُ اسمِه إذا اختَلَفت ... قَواضِبُ الهِندِ والقَنا الذُّبُلُ

أنتَ لَعَمري البَدرُ المُنيرُ ولكِـ ... ـنكَ في حَومةِ الوَغى زُحَلُ[1]

كَتيبَةٌ لَستَ رَبَّها نَفَلٌ ... وبَلدَةٌ لَستَ حَليَها عُطُلُ[2]

قُصِدتَ من شَرقِها ومَغرِبِها ... حتى اشتَكتكَ الرِّكابُ والسُّبُلُ

لَم تُبقِ إلاّ قَليلَ عافِيَةٍ ... قد وَفَدَت تَجتَديكَها العِلَلُ

عُذْرُ المَلُومينَ فيكَ أنَهُما ... آسٍ جَبانٌ ومِبضَعٌ بَطَلُ[3]

مَدَدتُ في راحَةِ الطَّبيبِ يَداً ... فَما دَرى كَيفَ يُقطَعُ الأَمَلُ

إن يَكُنِ البَضْعُ ضَرَّ باطِنَها ... فَرُبَّما ضَرَّ ظَهرَها القُبَلُ

يَشُقّ في عِرقِها الفِصادُ ولا ... يَشقّ في عِرقِ جُودِها العَذَلُ

خامَرَهُ إذا مَدَدتَها جَزَع ... كَأنّهُ مِنْ حَذافَةٍ عَجِلُ

جازَ حُدودَ اجتِهادِه فأتى ... غَيرَ اجتِهادٍ، لأُمّةِ الهَبَلُ

أَبلَغُ ما يُطلَبُ النّجاحُ بِهِ الـ ... ـطَبعُ وعندَ التَّعَمّقِ الزَّلَلُ

إرثِ لَها إنّها بِما مَلَكَتْ ... وبالذي قَدْ أَسَلتَ تَنهَمِلُ

مِثلُكَ يا بَدرُ لا يَكونُ ولا ... تَصْلُحُ إلاّ لِمِثلِكَ الدّوَلُ

---

(١) حومة الشيء: معظمه.

(٢) النفل: الغنيمة. العطل: التي لا حلي عليها.

(٣) المبضع: حديدة الفاصد.